دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان: دراسة معمارية فنية مقارنة بين ضريح المدغاسن والضريح الملكي بتيبازة
المصدر: مجلة دفاتر البحوث العلمية
الناشر: المركز الجامعي مرسلي عبدالله بتيبازة
المؤلف الرئيسي: بوذراع، سفيان
المجلد/العدد: ع2
محكمة: نعم
التاريخ الميلادي: 2013
الشهر: جوان
الصفحات: 133 - 147
رقم MD: 642973
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
قواعد المعلومات: HumanIndex
مواضيع: العمارة الجنائزية الجزائرية، ضريح المدغاسن، الضريح الملكي بتيبازة
رابط: http://search.mandumah.com/Record/642973

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

دراسة معمارية فنية مقارنة بين ضريح المدغاسن والضريح الملكي بتيبازة.

سفيان بوذراع

جامعة قسنطينة ٢

تمهيد:

شهد بناء الأضرحة تطورا ملحوظا في عهد الممالك القديمة في بلاد المغرب، فالملوك النوميديين والموريين أولوا اهتماما كبيرا ببناء معالم جنائزية، تنوعت مقاييسها، أشكالها الهندسية، ومخططاتها المعمارية، الداخلية والخارجية، ويمكن تفسير ذلك بمكان الدين عند الأهالي، وكذا تطور مظاهر العبادة الجنائزية وتنوعها [١].

تتواجد أغلب هذه الأضرحة في كل من الجزائر وتونس، وهي نوعان: الأضرحة البرجية التي هي على شكل صومعة، ذات الأصول الشرقية القديمة [2]، وتنقسم بدورها إلى نوعين: الأولى تتميز بقاعدة ذات تصميم مربع، تحمل طابقا أو عدة طوابق ترتكز على مصطبة، وتنتهي بهرم صغير، أشهرها ضريحا دوقة بتونس وماسينيسا بالخروب، والثانية تتصف بوجود تصميم سداسي الزوايا مع جوانب منحنية ومستقيمة بانتظام، أشهرها ضريح صبراتة بليبيا، وضريح الملك صيفاقس بسيقا.

النوع الثاني يتمثل في الأضرحة المستديرة التي تأخذ شكلا أسطوانيا، لها جذع مخروطي مدرج، وهي على عكس الأولى، معالم جنائزية ذات أصول محلية استوحت شكلها من البازينات الليبية التي تعود إلى فترة فجر التاريخ في بلاد المغرب [٣]، أشهر أمثلتها:

ضريح المدغاسن بباتنة والضريح الملكي الموريطاني بتيبازة.

١- ضريح المدغاسن:

شيد ضريح المدغاسن على تلة منخفضة، تقع بالقرب من جبال الأوراس، تنحصر بين الممر الجبلي المكون من جبل عازم من الجهة الشمالية الغربية وجبل طافروت من الجهة الجنوبية الغربية، عند ملتقى الطرق الرومانية لزاما Diana

Veteranorum باتجاه خنشلة Mascula وعين ياقوت Gilba باتجاه تيمقاد، عبر سبخة جندلي، المسماة قديما بالبحيرة الملكية Lacus Regius ، نجد ضريح المدغاسن على علو 909 م على مستوى سطح البحر [٤]، لم يحظ المدغاسن بذكر الكتاب القدامى الذين تكلموا عن شمال أفريقيا مثل سترابون. بومبونيوس ميلا، هيرودرت [٥]، إلا أن هناك إشارة قديمة لهذا الضريح في كتاب تاريخ أغسطس l'histoire d'auguste بأن: الإمبراطور الروماني بروبيس Pro bus قد هزم. وقتل في معركة فردية زعيما من الثوار الأفارقة يحمل اسم أراديون Ara dion ، وأن العساكر الرومانية بنوا له ضريحا عرفانا له ولشجاعته، وهو عبارة عن قبر ونصب تذكاري في نفس الوقت، عرضه لا يتجاوز ٢٠٠ قدم [٦]، أي ٥٩,٢٠ م، وهذا المقياس ينطبق مع قطر المدغاسن الذي يبلغ في القاعدة ٥٩ م، لكن لا توجد إشارة واضحة على أنه يشير إلى المدغاسن، وبالإضافة إلى هذا يظهر من غير المنطقي أن تكرس الآلة العسكرية الرومانية وقتا طويلا، وعتادا هاما لبناء قبر بهذه الأهمية لعدو إفريقي [٧].

وفي القرن ١١ م تطرق البكري إلى وصف المدغاسن الذي سماه بقبر مادغوس، وأن اسم مدغاسن Madras'en هو جمع لكلمة مادغاس، مادغوس أو مادروس [٨]، أما في القرن ١٤ م فقد أشير إليه من طرف ابن خلدون، على أن مادغاسن هو الجد الأول للسلالة الأولى التي كانت تقطن منطقة الأوراس، وهي القبائل التي نعرفها اليوم باسم حراكتة المادور[٩].

إن أول من قام بالتنقيبات القبطان كولينوا Collineau سنوات ١٨٥٠-١٨٤٩، وبأمر من الجنرال كاربوشيا Carbuccia [١٠]، وفي سنة 1854 قام المهندس بيكر Beeker بوصف الضريح [١١]، وفي سنوات ١٨٥٦ -١٨٥٥ تمكن الرائد Foy من اكتشاف المبنى الأمامي في الشرق [١٢]، وفي سنة 1873 قامت الجمعية الأثرية القسطنطينية تحت إدارة برونو Brunon بالقيام بحفريات في الضريح والمقبرة المحيطة به [١٣]، وقد كشف تقرير برونو المخطط الداخلي للبناء، ووصف الرواق، والغرفة المركزية، وتقنيات البناء، وبعدها انقطعت الحفريات إلى غاية 1969 أين تمكن كل من أ.فيفري Fevrier. A و ج.كامبس Camps. G من الدخول إليه، واكتشاف الرواق، والغرفة المركزية، ووصفهما وصفا دقيقا، ويعتبر كامبس أول من أرخ لهذا الضريح بالكاربون ١٤ المشع [١٤].

يتشكل الضريح من قسمين هما: القسم السفلي على شكل أسطواني، والعلوي الذي يشكل المدرج، وهو هرمي [١٥] (انظر الصورة رقم ١). يبلغ ارتفاع الضريح الإجمالي ١٨,٥٠ م، وقطره عند أسفل القاعدة 58.86 م، وعند الكورنيش 56.50 م، أما محيطه فيتراوح ما بين184.80 م في الأسفل، و١٧٧ م في أعلى القاعدة [١٦]، يتكون الجزء الهرمي من 23 درجة، متوسط علوها حوالي ٠,٥٨ م، وعلى مستوى الدرجة الثالثة يقع المدخل الرئيسي، أما الجزء

الأسطواني، فيصل علوه إلى ٤,٤٣ م، وحوله ٦٠ عمودا مرضومة على الطراز الدوري (أنظر الصورة رقم ٢). ويبلغ ارتفاع العمود حوالي ٢,٦٥ م، وبين عمود وآخر مسافة تتدر بحوالي ٢,٩٠ م، فوق هذه الأعمدة نجد العصابة Tailloir . وفوقها رباط الأعمدة ((Architrave)) وفوق هذا الأخير تمتد الكورنيش ذات العنق المصرية ذات التأثير الفينيقي، مثل ما نجدها في ضريح الخروب وضريح الدوقة [١٧]، ويرى بعض الباحثين أنه تتواجد به ثلاثة أبواب وهمية على غرار الضريح الملكي الموريطاني، فقد أشار كل من بيكر Beeker سنة ١٨٥٤و كاهن Cahen A. b 1873 [١٨] أن المسافة التي تفصل بين نتوئين بارزين تحت رباط الأعمدة تعادل ثلث محيط الضريح، مما جعلهما يخلصان إلى إمكانية وجود نتوء ثالث، و بالتالي وجود ثلاثة أبواب وهمية تتوزع على ثلاث جهات، وتنقسم القاعدة الأسطوانية إلى ثلاثة أقسام متساوية المسافات، كما أن كامبس يري أن هذه الأبواب مستوحاة من البناءات الدينية الفينيقية ذات التأثير المصري، وأن دورها ليس زخرفي فحسب، بل قد تكون لها توجهات شعائرية أخرى [١٩] (أنظر الشكل رقم ١).

يحيط بهذا المعلم مبنى أمامي ((Avant-corps)) يسمى المنصة من الجهة الشرقية، مستطيل الشكل، يبلغ عرضه ٢٤ م، ويشكل نتوءا طوله ١٤ م، وهو ملتصق مع الضريح، ويمتاز بصلابته، وببنائه المحكم [٢٠]، ولم يبق اليوم من هذا البناء إلا أساسه، وقسما من مساحة مبلطة تقدر بـ ٥,٥٠ م على ١,٥٠ م [٢١].

أما مدخل الضريح فيقع في الجهة الشرقية، على مستوى الدرجة الثالثة من المخروط المدرج، علوه 1.60 م، وعرضه ٠,٧٠ م، وقد اكتشف خلال حفريات كاربوشيا Carbuccia سنتي1849- 1850 ، وقد كان مغلقا بواسطة نظام السد الحجري، ويتمثل في بلاطة تنزلق على طول حزتين عموديتين هيئتا على جانبي إطار الباب [٢٢]، وعبر هذا المدخل نصل إلى بهو صغير طوله 1.20 م وعرضه ٠,٦٠ م (أنظر الشكل رقم ٢). يشرف على سلم غير كامل ذو ١١ درجة مبنية بالحجر المنحوت ومكسوة بطلاء أحمر، بعد الدرجة الحادية عشر نجد رواقا طويلا يؤدي إلى الغرفة الجنائزية، بنيت جدرانه بالحجر الصغير دون ملاط، وتتشكل أرضيته من حطام الحجارة المنحوتة التي استعملت في بناء الضريح، وهي مغطاة بطبقة من التراب ملونة بالأحمر[٢٣].

أما عن سقفه فقد تحدث برونو Brunon عن وجود ركائز من خشب البلوط على شكل فرشاة تدعم الجدران، وسقف المبنى بالخشب [٢٤]، أما كامبس Camps. G ، و أ.فيفري Fevrier. A سنة 1969 فذكرا أن السقف كان يحمل عوارض من خشب الأرز، تزامن وضعها مع بناء الضريح بدليل أطرافها المندمجة والغائرة في جدران الرواق [٢٥].

الغرفة الجنائزية تقع في مركز الضريح جدرانها مبنية بالحجر المنحوت، سقفها يصعب معرفة شكله وتقنية بناءه بسبب سقوطه، مدخلها عبارة عن فتحة مربعة، يبلغ علوها 1.70 م وعرضها ٠,٩٠ م، أما عن مساحتها فهي صغيرة، إذ لا يتعدى طولها ٣,٣٠ م، وعرضها من جهة الباب ١,٤٥ م، وفي العمق ١,٥٩ م، كما وجدت خالية من الأثاث الجنائزي، باستثناء بعض القطع الفخارية، ومقعدان حجريان على طول جانبي الغرفة في اتجاه شرق –غرب، عرضهما لا يتجاوز ٠,٢٠ م وارتفاعها ٠,٣٠ م [26].

أما عن طريقة الدفن التي تمت في هذا الضريح، إن كانت عادية أم بالحرق، فقد تعرض المدغاسن إلى النهب، وهذا ما يفسر عدم وجود الأثاث خلال تنقيبات 1873 ، ويظهر من ضيق الغرفة أن الدفن كان عن طريق الحرق، فلا يمكن في أي حال من الأحوال دفن عدد من الجثث مصحوبة بأثاثها الجنائزي في غرفة ضيقة، وقد عثر في سنة 1873 على إناء كبير دائري، قطره 0.74 م، وارتفاعه ٠,٣٢ م، مملوء بالرماد والفحم، في جثوة لا تبعد عن الضريح إلا ١٠٠ م [٢٧]، ووجدت أيضا شظايا مرمدات فخارية في الرواق الداخلي للضريح والمبنى الأمامي، مما يدل على عملية الحرق للجثث التي كانت توضع في هذه الأدوات.

إن ضريح المدغاسن له علاقة وطيدة بالتأثير المحلي للمنطقة، والتقاليد البربرية القديمة، وتتجلى بوضوح في استمرار تشييد البازينات بكثرة في سفوح جبال الأطلس الصحراوي، والسلاسل الصغيرة المتصلة بالهضاب العليا، فهي تعتبر حسب بعض الباحثين النموذج الأصلي للمدغاسن [٢٨]، كما أن غرفته الجنائزية تذكرنا بتلك الغرف البسيطة التي غالبا ما نجدها في جثوات فجر التاريخ [٢٩].

إلى جانب هذا، فعمارة الضريح تشكل مزيجا من العناصر الأجنبية: فينيقية، وإغريقية، ومصرية، ويتجلى هذا التأثير الأجنبي على الخصوص في الأعمدة والتيجان ذات الطراز الدوري القديم، الكورنيش المنتهية بحلق مصري، والأبواب الوهمية على الطراز الفينيقي، وعلى الرغم من قدم هذه العناصر والتأثيرات المحلية والأجنبية، إلا أنه لا يمكن الاعتماد عليها في تأريخ الضريح، فالكورنيش المصرية ظلت تستعمل في العهد الفينيقي والنوميدي إلى زمن متأخر، فقد وجدت في ضريح دوقة والخروب ومعبد شمتوا التي تؤرخ للقرن ٤ ق.م، كما أن بازينات فجر التاريخ ظلت تشيد حتى العصور التاريخية، ويعتقد كامبس Camps. اعتمادا على تحليل عينتين من خشب الأرز بطريقة الكربون 14 المشع، أن تشييد المبنى كان في نهاية القرن ٤ ق.م، وبداية القرن ٣ ق.م [٣٠]، كما يعتقد من جهة أخرى أن الفترة التي بني فيها كانت الأسرة الحاكمة ما تزال تقطن في موطنها الأصلي بالقرب من جبال الأوراس [٣١]، والتي يمكن أن تكون مكونة من ملوك نوميديين سابقين للملك غايا وابنه ماسينيسا، قد تعاقبوا على عرش المملكة الماصيلية.

٢- الضريح الملكي الموريطاني:

يقع هذا الضريح على بعد ١,٥ كلم شمال بلدية سيدي راشد، وحوالي ١٥ كلم جنوب شرق تيبازة، فهو يوجد على رأس إحدى مرتفعات الساحل، يعلو سطح البحر ب ٢٦١ م [٣٢]، ويمكننا أيضا إذا تسلقنا قمته رؤية آفاق واسعة من جميع الجهات البحر من الشمال، مدينة تيبازة في الغرب، وجبل شنوة الذي يحجب رؤيته لمدينة شرشال، وسهل متيجة من الجنوب، من مميزات هذه المنطقة الجبلية أن أراضيها تكثر بها الحشائش، والأشجار، وتقل بها المصادر المائية، كما تتوفر على عدد هام من المحاجر، أهمها محجرتي برار وعين الغيران [٣٣].

لقد ذكر هذا الضريح من طرف الجغرافي اللاتيني بومبونيوس ميلا Pomponius Mela على أنه) الضريح المشترك للعائلة الملكيةmonumentum commune regiae gentis ، (أي أن هذا المعلم دفن فيه عدة ملوك نوميديين [٣٤]، ويعتقد حسب كريستوفل Cristofle. M أن ميلا Mela كتب عن هذا الضريح في الأربعين من القرن الأول ميلادي، بداية تسمية موريطانيا القيصرية وعاصمتها شرشال [٣٥] ، وقد سماه العرب الفاتحين قبر الرومية [٣٦] ، بسبب الزخرف الناتئ الشبيه بالصليب الذي زينت به الأبواب الوهمية الأربعة.

إن أول من قام بالتنقيبات في الضريح هو هاريان بربروجيرBerbrugger ، من سنة ١٨٦٥ إلى سنة 1866 ، وقد اكتشف دهليزا مستديرا واسعا، يؤدي إلى الباب الحقيقي الواقع تحت الباب الوهمي بالجهة الشرقية علوه 110 م، ومن الجهة الأخرى يودي إلى غرفتين قد كسر باباهما، ولا يوجد فيهما شيء [٣٧]، وفي سنة ١٩١٢ قام الباحث كريستوفل Cristofle. Mبأعمال ترميم بواجهة الجدار الخارجي، والمخروط المدرج، دامت إلى سنة ١٩٥٠، وقام بدراسة هامة شملت مختلف عناصره المعمارية وأشكاله الهندسية [٣٨] ، وكذا ستيفان غزال Gsell. st الذي قام بدراسات قيمة حول الضريح تناولت شكله الهندسي ومخططه الداخلي.

إن الضريح الملكي الموريطاني عبارة عن بازينة كبيرة مثل ضريح المدغاسن، شكله الخارجي يشبه بازينات فجر التاريخ، له شكل قاعدة أسطوانية، والجذع المخروطي المدرج (أنظر الصورة رقم ٣)، يبلغ ارتفاعه ٣٣ م، بعدما كان ٤٣ م في البداية [٣٩]، وقد بني هذا الضريح فوق قاعدة مربعة واسعة، طول كل جهة منها ٦٤ م (أنظر الشكل رقم ٣)، تبرز قليلا عن سطح الأرض، تتشكل من صفين من الحجر المنحوت مدفونتين في الأسفل، وعلى المساحة المربعة أقيم صفان آخران مربعان، ويعلوهما صف آخر اسطواني الشكل، كما نجد صف اسطواني آخر يعتبر بمثابة القاعدة التي بنيت عليها الكتلة الأسطوانية، حيث يبلغ ارتفاع القاعدة السفلى من سطح الأرض إلى أسفل الأعمدة ٢,٥٣ م، أما جدران القاعدة

الأسطوانية فتتكون من ١٣ صفا، مبنية بالحجر المنحوت، وحولها 60 عمودا مرضومة على الطراز الأيوني القديم، بحيث نجد بين كل ١٥ عمودا هيئ باب وهمي، هذه الأبواب الوهمية الأربعة يتشكل كل باب منها على بلاطة كبيرة نحتت في حجر كلسي صدفي صلب، يتكون من أربعة صفائح غير متساوية مشكلة بابا ذو مصراعين، يصل ارتفاعه إلى ٦,٩٠ م، كما نحت على هذه الصفائح زخرف ناتيء على شكل عارضة Croisillon يشبه الصليب (٤٠)، كل باب مؤطر بعمودين من الطراز الأيوني، ولم يبق إلا الباب الشرقي، أما الأخرى فقد فقدت إطارها ولم يبق منها سوى الصفائح السفلى.

وفوق تيجان الأعمدة يمتد الطنف أو الكورنيش، حيث يتشكل من حجرين بارزين على الكتلة الأسطوانية، السفلي أملس، أما العلوي فيحمل نتوءا في أعلاه لا يتجاوز ٠,١٠٥ م (٤١)، وفوقه مباشرة ترتكز الدرجة الأولى من المخروط المدرج الذي بدوره يتشكل من ٣٧ درجة، علو كل منها ٠,٥٨ م مبنية بالحجر المنحوت، وينتهي في قمته بمساحة مسطحة مثل المدغاسن.

ويحيط بالضريح من الجهة الشرقية المبنى الأمامي) المنصة (على مسافة ٣,٣٧ م، من أمام المدخل الرئيسي تمتد آثار مساحة مسطحة واسعة، ومبلطة يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب ٧,٧٥ م، وعرضها ٢,٧٠ م، لم يبق منها إلا القاعدة المبلطة، وبعض الأحجار التي تشكل جدران البناء (٤٢)، مثل هذه المنصات نجدها في المدغاسن والجدارات بفرندة.

أما مدخل الضريح، فيقع من الجهة الشرقية أسفل الباب الوهمي، مشكلا من صخرتين من الحجر المنحوت متساوية الأبعاد (٤٣)، موضوعة الواحدة تلوى الأخرى، بحيث لا تتميز عن الجدار الخارجي إلا بفواصلهما التي أقيمت بشكل متطابق وليست متعاكس مثل باقي أحجار البناء، ولقد ظلت هذه الفتحة مجهولة إلى أن اكتشفت من طرف الباحث بربروجير Ber brugger سنة 1866 ، وعبر هذا المدخل نجد بهوا ضيقا موجه شرق –غرب طوله ٤,٨٥ م، عرضه ٠,٨٣ م، وعلوه 1.25 م، أرضيته مبلطة، وسقفه مبني بالحجر الكبير، يصل هذا البهو إلى قاعة كبيرة موجهة شرق –غرب، طولها ٥,٣٣ م، علوها ٣,٢٠ م، وعرضها ٢,٥٢ م، أرضيتها مبلطة بحجارة منحوتة مستطيلة، وسقفها مقبب (٤٤)، وقد سميت هذه القاعة بـ "بهو الأسود" نسبة إلى زخرف ناتئ يمثل أسدا ولبؤة، نحتا فوق عتبة الباب الذي يؤدي إلى بهو ثاني ضيق وقصير لا يتجاوز ٢,٠٨ م، و ينتهي بسلم من سبع درجات، بعد صعوده نصل إلى رواق مستدير مقبب ذو أرضية مبلطة (أنظر الشكل رقم ٤)، يبلغ طوله ١٤٩ م، علوه ٢,٤٢ م، وعرضه يتراوح ما بين ٢,٠٤ م و١,٩٨ م (٤٥)، وعلى بعد ٣,٣٧ م من بداية الرواق تمتد سلسلة من الكوات الصغيرة، عددها ٥٢ كوة، تبعد كل واحدة

عن الأخرى بمسافة ٣ أمتار، ربما كانت تحمل مصابيحا لإنارة الرواق أثناء إقامة مراسيم الدفن للميت، أو الاحتفالات الدينية (٤٦)، ويؤدي هذا الرواق إلي مركز الضريح، أين نجد غرفة أولى مستطيلة موجهة شمال –جنوب طولها ٤,٠٤ م، عرضها ١,٥١ م، وعلوها 2.73 م، سقفها نصف دائري، بعدها نجد بهوا ثالثا صغير، طوله 3.50 م، يؤدي إلى غرفة ثانية وأخيرة مستطيلة، موجهة شمال –جنوب، طولها ٤,٠٤ م، وعرضها ٣,٠٦ م، وعلوها 3.43 م، بنيت بالحجارة المنحوتة، وسقفها مقبب، بها ثلاث كواة على جدرانها الجانبية الثلاثة (٤٧)، وهي غرفة الدفن المركزية.

أما عن طريقة الدفن به، فقد تعرض هذا الأخير منذ زمن بعيد إلى النهب مثله مثل المدغاسن، لذا يصعب علينا معرفة الشعيرة المتبعة، إن كان الدفن عاديا أم بالحرق، فإذا تأملنا في ممرات الضريح، يتضح لنا أنه من الصعب تمرير نواويس حجرية أو خشبية داخل القبو، ولا يمكن أن نتصور وضع جثة الميت على أرضية لا تتوفر على الأقل على مقاعدن ومن هنا فإن استعمال طريقة الحرق هي الأكثر احتمالا والأقرب، خاصة وأنها كانت معروفة لدى النوميديين منذ القرن ٤ ق.م (48).

وقد اكتسى الضريح طابعا محليا يتمثل في شكل البازينة، ومع هذا فقد امتزج في بنائه بتأثيرات أجنبية، تمثلت خاصة في الكورنيش المنتهية بحلق مصري ذات التأثير الشرقي، ووجود كذلك الأعمدة الأيونية ذات الأصل الإغريقي، ونجدها على نوعين في هذا الضريح: الأولى تيجانها من الطراز الأيوني مزينة في الأسفل بعقد به ورقات الزهرة، عددها من ٤ إلى ٨ ورقات، وفي الأعلى به زخرف يشبه حلزونتين ترتبط بينهما قناة تلتوي في الوسط نحو الأسفل، أما النوع الثاني منها، وهي الأعمدة الثمانية المؤطرة للأبواب الوهمية الأربعة، ذات تيجان أيونية تشبه الأولى، إلا أنها تتميز باستقامة القناة التي تربط الحلزونتين، وزخرفه شبيه بسعف النخيل (٤٩) (الصورة رقم ٤).

من الصعب أن يحدد زمن بناء الضريح لافتقاره لعناصر التأريخ كالأثاث الجنائزي، إلا أن وجود النص القديم ل "بومبونيوس Pomponius"، والذي يرجع تأليفه إلى 40 م، أي إلى عهد استيلاء الرومان على مملكة موريطانيا، فيمكن حسب المؤرخين اعتبار النظرية التي تنسب بناء الضريح إلى الملك يوبا II وزوجته كليوبترا سيليني (٥٠)، أما ستيفان غزال st. Gsell فيرى أنه من المفترض أن يكون قد دفن فيه الملك الموريطاني بوخوس الشاب Bocchus le jeune الذي توفي سنة ٣٣ ق.م، أما كامبس Camps. G فيسنده إلى الملك سوسوس Sossus أب بوخوس Bocchus وبوغود Bogudالذي حكم في موريطانيا ما بين ٤٩–٨٠ ق.م (51).

٣- الدراسة المقارنة:

إذا ما قمنا بدراسة مقارنة ما بين الضريحين من الناحية الفنية والمعمارية، نجد أوجه التشابه والاختلاف لعمارتي هذين المعلمين الجنائزيين، التي تمدنا بأفضل الأمثلة سواء في التأثيرات المحلية أو الأجنبية المنبثقة عن التبادلات بين العالم النوميدي والعالم الخارجي آنذاك، سواء البوني، أو المصري، أو الإغريقي أو غيرهم، فهذه العناصر التزيينية ذات أصول متنوعة، وتكون جانب تبادل مهم بين عدة حضارات، وهي تتمثل فيما يلي:

أ- أوجه التشابه:

- الهيكل المعماري العام للضريحين متشابه، ومستوحى من القبور البربرية، والتي انتشرت بشكل كبير خلال أواخر فترة ما قبل التاريخ يدعى البازيناس المحلية.
- كل من الضريحين ينقسم إلى جزئين: قسم أسطواني سفلي، وقسم هرمي، وفي القسم السفلي لكل ضريح حوله ٦٠ عمودا، وأربعة أبواب وهمية، القمة مسطحة في كل من الضريحين.
- أمام الضريحين من الناحية الشرقية نجد مبنى (ملحق)، كان يستعمل للطقوس الجنائزية والاحتفالات.
- كما نجد أن كل من الضريحين بني فوق مصطبة مبلطة.
- كذلك نجد أن الملحق الخاص بالطقوس الجنائزية موجود في الناحية الشرقية لكل ضريح.
- الأرضية المبلطة، والتي ربما يكون بني فوقها كل ضريح.
- كذلك بالنسبة للأبواب الوهمية، فكل من الضريحين بهما هذه الأبواب، فالعديد من الباحثين يؤكدون علة وجودها في ضريح المدغاسن وعددها ثلاثة، وأربعة أبواب في الملكي الموريطاني، والباب الجنوبي له منهار (انظر الصورة رقم ٠٥)، تحتوي على شكل صليب.
- كل ضريح يحتوي على الكورنيش (الحنية المصرية)، والتي تعتبر بمثابة الفاصل بين الجزء الأسطواني السفلي والعلوي المدرج، إنها نوع من الإنحناء البارز، والذي نجد بروزه بشكل متميز على الكورنيش

الذي يتوج أعمدة المدغاسن، هذا العنصر متواجد بكثرة في العمارة البونية، وفي التقديم المعماري على الأنصاب القرطاجية منذ القرن ٦ ق.م إلى القرن ٤ ق.م، وتعود أصوله إلى مصر (٥٢).

- من الداخل، كل ضريح يحتوي على غرفة للدفن تتوسطه، رغم الاختلاف في الأروقة المؤدية إليها بداخل الضريحين.

- كل من الضريحين بهما تأثيرات إغريقية وبونية ومصرية، تمثلت في الأبواب الوهمية والتيجان والأعمدة، وكذا الحنية المصرية، التي هي عبارة عن انحناء بارز، ونجد بروزه بشكل واضح فوق أعمدة المدغاسن.

ب–أوجه الاختلاف:

أما عن أوجه الاختلاف بين الضريحين فنذكر:

- رغم التشابه الكبير في شكل الضريحين إلا أن الضريح الملكي الموريطاني أكبر حجما وارتفاعا من المدغاسن، حيث يبلغ ارتفاع الضريح الموريطاني ٣٣ م، ويبلغ ارتفاع ضريح المدغاسن الإجمالي ١٨,٥٠ م.

- القمة مسطحة في كل ضريح، لكن الإختلاف في المدغاسن قمة مسطحة دائرية قطرها ١١،٤٠ م، وفي الملكي الموريطاني قمة مسطحة مربعة الشكل طول كل ضلع منها 64 م.

- أما فيما يخص تيجان الأعمدة، فهي ذات طراز دوري بالنسبة للمدغاسن، أما في الضريح الملكي الموريطاني فنجدها ذات طراز أيوني، وهذه الأخيرة تختلف في طريقة نحتهان حيث نجد لها صنفان: صنف نجده على الأعمدة الجانبية للأبواب الوهمية، والصنف الأخر يزين محيط الضريح، فالتيجان الواقعة على الأبواب الوهمية تحمل تعريقة نخيلية، نوع من الزينة ذات أصول فينيقية، ونرى هذا النوع من الزينة على تيجان مصلى بوني وجد في تويوربو ماجوس في تونس، أما الصنف الثاني من التيجان فهو مزين بعصابة من الورود تحت الحلزنة، ويحتوي على قناة تصل بين الحلزونتين بشكل مقعر وعميق (انظر الصورة رقم ٠٦)، هذا النوع من التيجان يتواجد في ضريح سيقا، الدوقة، صبراطة، أما التيجان الدورية المستعملة في المدغاسن فنجدها في عدد من المعالم، مثل ضريح الخروب، وكذلك على الأنصاب البونية القرطاجية (٥٣).

- انتفاخ جذوع الأعمدة الدائرة بضريح المدغاسن، والتي نجدها كذلك على الأنصاب القرطاجية ذات أصول مصرية، بينما لا نجد هذا الانتفاخ على الأعمدة التي تزين الضريح الملكي الموريطاني.

خلاصة:

يظهر أن قدم المدغاسن وتشابهه الكبير مع الضريح الملكي الموريطاني، هو الذي جعل المؤرخين يعتقدون أن هذا الأخير ما هو إلا نسخة طبق الأصل للأول، فهما عبارة عن بازينتين كبيرتين، لهما شكل أسطواني مخروطي مدرج متشابه. كما يشتركان أيضا في وجود مبنى أمامي من الجهة الشرقية، أبواب وهمية، أروقة تؤدي إلى الغرفة الجنائزية، مساحة مسطحة علوية، وعناصر هندسية وزخرفية مستوحاة من الفن المعماري البونيقي والإغريقي، فهذان الضريحان يمثلان دليلا قاطعا على وجود مجتمع نوميدي متطور اقتصاديا، ومتفتح على شعوب العالم الأخرى بفضل اتصالاته بالحضارة الفينيقية والإغريقية.

الملاحق:

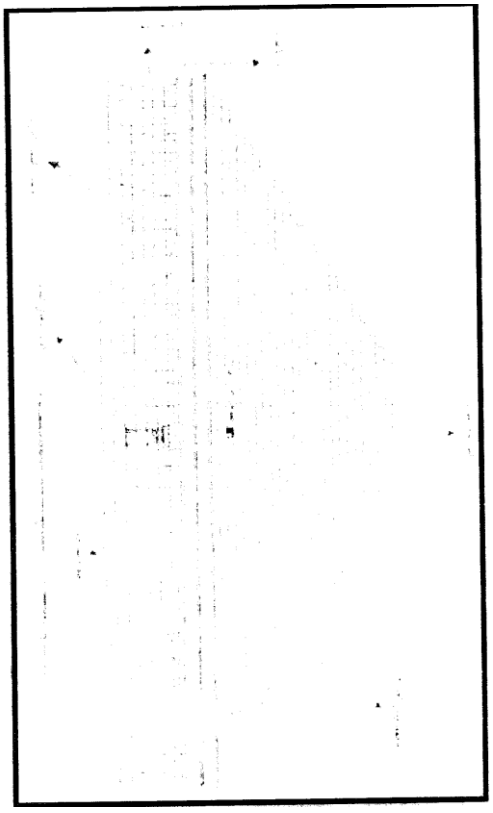

الشكل رقم ١ : يمثل المخطط الخارجي لضريح تامدغاسن (نقلا عن رابح لحسن : بتصرف الباحث)

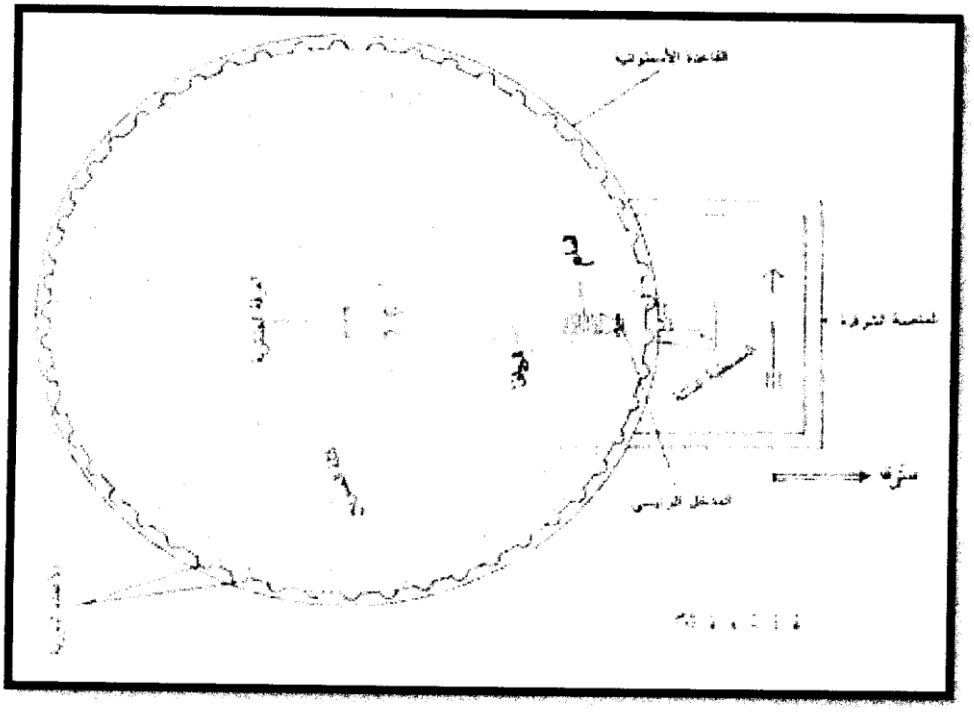

الشكل رقم ٢ يمثل المخطط الداخلي لضريح المدغاسن (نقلا عن رابح لحسن. بتصرف الباحث)

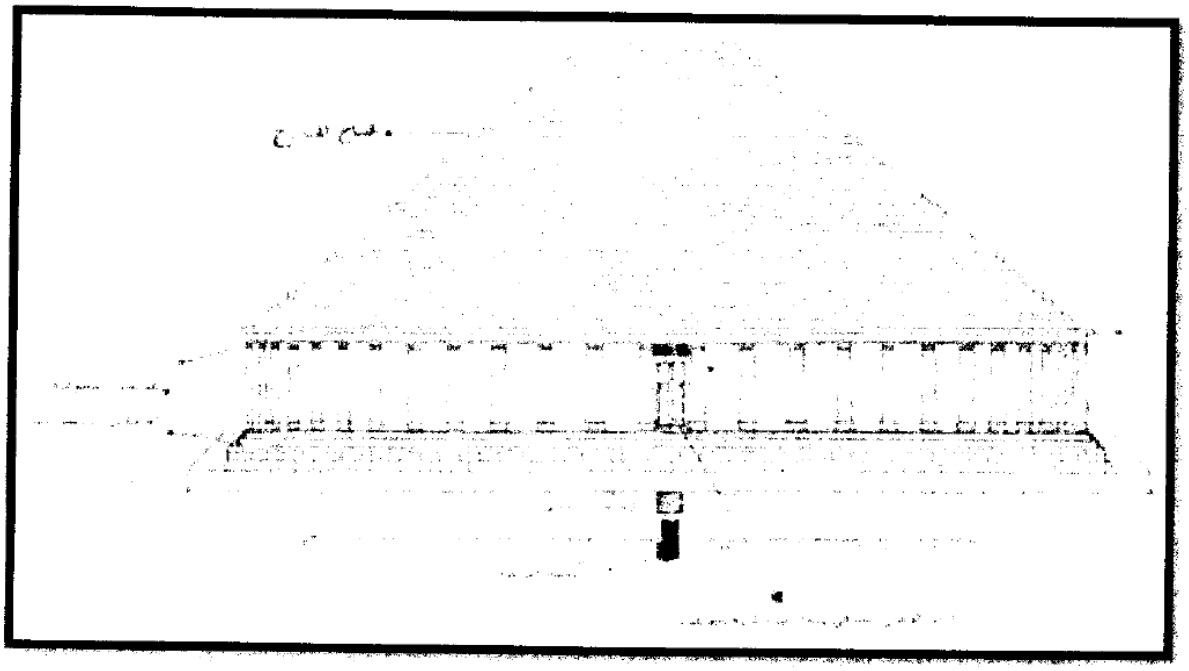

الشكل رقم ٣ يمثل المخطط الخارجي للضريح الموريطاني (نقلا عن رابح لحسن. بتصرف الباحث)

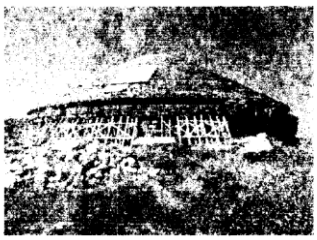

صورة رقم ١: منظر عام لضريح المدغاس

صورة رقم ٢: التيجان الدورية لأعمدة المدغاسن المرضومة والمنتفخة في الوسط

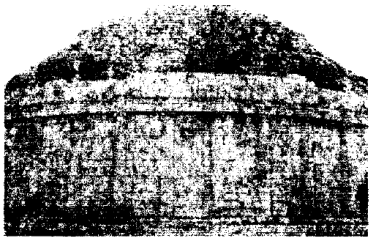

صورة رقم ٣: منظر عام للضريح الملكي لتيبازة (عن اورفه لي)

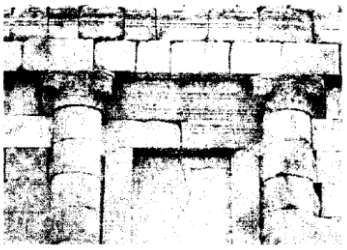

صورة رقم ٤: التيجان الأيونية للأبواب الوهمية في الضريح الملكي لتيبازة (عن اورفه لي)

صورة رقم ٥: الباب الوهمي الجنوبي

صورة رقم ٦: تفاصيل التاج الايوني في الضريح الملكي تيبازة (عن اورفه لي)

الهوامش:

١- رابح لحسن، أضرحة الملوك النوميد والمور، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٤، ص ٦١.

(2) G.Camps. « Afrique du nord : les mausollées princiers de numidie. Revue mensuelle. Archéo- logia. N°298. fevrier 1994.. Dijon. p52

(3) G.Camps. Aux origines de la berbérie.monuments et rites funéraires protohistoriques. 1961. pp199-205

(4) Moliner-violle.M.le médracen.Recueil des notices et memoire de la société archéologique de constantine.TXXVIII. 1893.p52

(5) Brunon.C. Mémoire sur les fouilles exécutées au médracen.Mausolée des rois de numidie Rec. des Not.et Mém.delasoc.archéo.deconst.TXVI, 1873-1874.p 310.

(6) Foy.M. Notice archéologique sur le madrazen. Rec des notices et mem. de la soc. ArchéoL 1856-1857. p65

(7) Grand rabin Cahen. A.b. Le médracen.Rapport de fouilles. Rec.des Notices et mém. de la soc. De const T XVI, 1871-1873. p 13.

(8) Brunon.C. op. cit .1873-1874.p315.

(9) Moliner-violle.M. op. cit. 1893 , p 50.

(10) Brunon.C op.cit.1873-1874.p316.

(11) Beeker. H. Essai sur le medracen. Annuaire delà soc. Archéo.de const 1854. pp 108-118.

(12) Foy.M. op. cit .1856-1857.pp 58-69.

(13) Brunon.C. op. cit, 1873-1874.pp 304-305.

(14) G.Gamps. Nouvelles observations sur larchitecture et l' âge du madracen. mausollée royal de numidie. C.R.A.I. 1973. p 50.

(15) Brunon.C op. cit .1873-1874.p 340.

(16) G.Gamps. op. cit. C.R.AI, 1973. p 479.

(17)Ibid.p485.

(18) Beeker. H. op. cit. 1854. p 09.

(19) G.Gamps. op. cit. C.R.AI. 1973. p 492.

(20) Foy.M. op. cit .1856-1857.p 59.

(21) Brunon.C. op. cit .1873-1874.p 344.

(22) Gsell.st. les monuments antique de l'algérie .Volume 02.paris 1901, p 66.

(23) Brunon.C. op. cit. 1873-1874. p 345.

(24) Ibid. pp 328-346.

(25) G.Gamps. op. cit. C.R.AI. 1973. p 498.

(26) Brunon.C op. cit. 1873-1874.p 346.

(27) Ibid. p 337.

(28) G.Camps. Aux origines de la berbérie.monuments et rites 1961. pp 166-168.

(29) Gsell.st. les monuments .1901. p 72.

(30) G.Gamps. op. cit. C.R.AI. 1973. pp 510-512.

(31) Ibid. p 515.

(32) Bouchenaki.M. Tombeau royal de la Maurétanie. Alger. 1979. p7.

(٣٣) رابع لحسن، المرجع السابق، ص101

(34) Brunon.C. op. cit. 1873-1874.pp308-309.

(35) Cristofle.M. Le tombeau de la chrétienne, paris. Arts et métiers graphiques. 1951 . p 35.

(36) Ibid. p31.

(37) Bouchenaki.M. op. cit pp 11-12.

(38) Ibid. pl4.

(39) Brunon.C. op. cit. 1873-1874.p 309.

(40) Cristofle.M. op cit. p 22.

(41) Ibid.pp 15-23.

(42) Berbrugger.A. le tombeau de la chrétienne, mausolée des rois maurétaniens de la dernière dynastie. Alger. 1867. p71.

(43) Ibid . p 72.

(44) Cristofle.M. op cit. p 24.

(45) Berbrugger.A. op cit. p 76.

(46) Bouchenaki.M. op. cit. pp 15.

(47) Cristofle.M, op cit. p 29.

٤٨- رابح لحسن، المرجع السابق، ص ١٢٠.

(48) Cristofle.M. op cit p 21.

(49) Bouchenaki.M, op. cit. p 24.

(50) Camps.G. « Afrique du nord : les mausolées princiers

(٥٢) محمد خير أورفه لي، جوانب من المبادلات الثقافية الفنية والمعمارية بين البونيين ووالنوميديين خلال النصف الثاني من الألف الأول ق.م، الجزائر النوميدية. ٢٠٠٧، ص.٥٧.

(٥٣) نفسه، ص.٦٥.